الاتحاد العربي للمدارس الخاصة
Arab Private Schools Federation

حينما تنطق القبور

اللقاء الأخير والبداية الأولى

زاحم ساحات الجهل والباطل، يرجى نشر ما تقرأ من علم وحق، ولا تصمت صوتك في الحق

360 KNO SMART SCHOOLING
ADVANCE THROUGH TECHNOLOGY

unicef

UNESCO
United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization

GenEx
Generational Education Exchange

تمكين TAMKEEN

UNIVERSITY OF VICTORIA LONDON - UK

AMIEF
American International Education Federation

د. خميس بن عبيد العجمي

رئيس الاتحاد العربي للمدارس الخاصة

رئيس مجلس أمناء مدارس كينو الخاصة بسلطنة عمان

في لحظة صمت مطبق، حيث لا يُسمع إلا همس الرّياح بين أغصان الأشجار الباكية، تقف شواهد القبور شاهدة على حقيقة لا مفرّ منها، فهي ليست مجرّد تراب وحجارة، إنّما محطّات انتظار لكلّ نفس، ومنابر حكم وعدل إلهيّ لا تعرف المحاباة، ففي هذه البقع المقدّسة من الأرض، تتجلّى أعمق معاني الحياة والموت، وتُكشف حقائق طالما غفل عنها الإنسان في زحمة دنياه وتناسيه لأحوال آخرته... وتناسى أنّ من في القبور كانوا السابقين وهو من اللاحقين..

فأوّل منازل هذه الآخرة هو القبر، وفي ذلك قوله ﷺ: "إنّ القبر أوّل منازل الآخرة، فإنْ نجا منه فما بعده أيسر منه، وإنْ لم ينج منه فما بعده أشدّ منه"، بهذه الكلمات النبويّة الشريفة تكمن حقيقة عميقة تهزّ أعماق القلوب، وتوقظ النفوس من سباتها الطويل، فالقبر ليس مجرّد حفرة في الأرض، بل هو عالم قائم بذاته، له قوانينه وأحواله وأهواله، وهو المحكمة الأولى حيث يُحاسب الإنسان على عمله، والامتحان الأوّل الذي لا يمكن الغشّ فيه أو التحايل عليه، فهنا في هذا الصّمت المطبق، تصبح الأعمال شهوداً، والنوايا تفضح، والحقائق تعرّى من كلّ زيف، ويستيقظ البشر، ففي واقع الأمر فإنّهم نيام، وإنْ ماتوا استيقظوا....

فقبر المؤمن الصالح - كما جاء في أحد أحاديث الرسول ﷺ الذي رواه أحمد (4/362) وصحّحه الألباني في أحكام الجنائز؛ 156 - يصبح روضة من رياض الجنة، تتّسع جدرانه فتصبح مدّ البصر، وتضيء ظلمته بنور الإيمان والعمل الصالح، وهناك يأتيه عمله الصالح في صورة رجل حسن الوجه، طيب الريح، حسن الثياب، فيقول: "أبشر بالذي يسرّك، هذا يومك الذي كنت توعد"، وفي هذا القبر المبارك، تتحوّل التربة إلى مسك وعنبر، وتُفتح نافذة إلى الجنة فيأتيه من روحها ونعيمها، ولا يشعر بوحشة أو خوف، بل بأنس وطمأنينة، وكأنّه في أحضان رحمة لا تنتهي

وهنا يتحقّق معنى قول اللّٰه تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد: 28]

أمّا قبر الكافر والعاصي، فيصبح حفرة من حفر النار، وتضيق عليه جدرانه حتى تختلف أضلاعه، وتحيط به ظلمة لا نور فيها إلاّ بريق الندم، ولات حين مناص، ويأتيه عمله السيء في صورة رجل قبيح الوجه، منتن الريح، قبيح الثياب، فيقول: "أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد"، فتُفتح له نافذة إلى النار فيأتيه من حرّها وسمومها، ويُعذّب عذاباً لا يطيقه حتى تسمعه البهائم، وفي هذا المكان المظلم، تتجسّد معاني العدالة الإلهيّة، حيث لا ظلم ولا محاباة، بل جزاء وفاقاً لما قدّمت أياديهم..

وفي قبر كلّ من المؤمن والكافر، ستكون أوّل ليلة تمرّ عليهما ليلة الامتحان الأكبر، والفتنة العظمى...

فعندما يُوضع الميت في قبره وينصرف الناس، يأتيه ملكان أزرقان أسودان، أحدهما يُسمى منكر والآخر نكير، بأصوات كالرّعد وأبصار كالبرق، يُجلسانه ويسألانه ثلاثة أسئلة حاسمة:

من ربّك؟ ما دينك؟ ومن نبيك؟

هذه الأسئلة البسيطة في ظاهرها، العميقة في جوهرها، تكشف حقيقة إيمان الإنسان وصدق عقيدته، فالمؤمن يجيب بثبات: "ربي اللّٰه، وديني الإسلام، ونبيّي محمدّ ﷺ"، أمّا الكافر والمنافق فيقول: "هاه هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته" ....

وبعد هذه الأسئلة تحلّ ضغطة القبر كحقيقة مؤكّدة لكلّ من يُدفن، مؤمناً كان أم كافراً، بيدَ أنّ اختلافها يكون بأنّ ضغطة المؤمن كضغطة الأم الحنون لطفلها، أمّا الكافر فتختلف أضلاعه من شدّة الضغط، وفي

ذلك قول النبيّ ﷺ: "لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا سعد بن معاذ"، فإنْ كان هذا الصحابيّ الجليل الذي اهتزّ له عرش الرحمن، لم ينجُ من هذه الضغطة، فأنّى بغيره؟

وها هنا رسائل من القبر، لي قبل أنْ تكون لكم، وقبل فوات الأوان...

فرسالته الأولى، أكثروا ذكر هادم اللّذات، أسوة بإرشادات ووصايا نبيّنا الرّسول الكريم، ففي ذكر الموت يقظة للغافلين، وتحفيز للعمل الصالح، فعندما يستحضر الإنسان لحظة موته، وكيف سيُحمل على الأعناق، وكيف سيُوضع في قبره وحيداً، تتغيّر أولويّاته وتستقيم أعماله، فالموت معلّم صامت يُذكّرنا بحقيقة الحياة، فهو ليس النهاية، بل بداية رحلة أخرى أطول وأعمق، وكلّ نفس ستذوق كأس الموت، وكلّ جسد سيصير إلى التّراب، ولكنّ الأعمال ستبقى شاهدة، والنيّات محفوظة في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها...

ورسالته الثانية، اعملوا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، ففي القبر، لا ينفع المال المكدّس، ولا الأولاد المحبوبون، ولا المناصب العالية، ولا الألقاب الرنّانة، فالعمل الصالح الذي خلّفه الإنسان وراءه هو ما ينفعه، سواء أكان العملُ علماً نافعاً، أو ولداً صالحاً يدعو له، أو صدقةً جارية تُظلّه في قبره وتنير له طريقه، فكم من غنيّ في الدنيا أصبح فقيراً في قبره، وكم من فقير في الدنيا أصبح غنياً في آخرته، فالمقياس هنا ليس أرصدة البنوك، إنّما أرصدة الحسنات عند اللّٰه، وليس المهمّ عدد العقارات، إنّما عدد السجدات، وليس الأمر بفخامة المنزل وترف السيارة، بل بجمال السيرة وعطر المسيرة...

ورسالته الثالثة، اتّقوا اللّٰه حيثما كنتم، فالتّقوى هي الزّاد الحقيقيّ لرحلة الآخرة، والنّور الذي ينير ظلمة القبر، فهي ليست مجرّد أداء للعبادات الظاهرة، إنّما حالة قلبيّة تجعل الإنسان يراقب اللّٰه في السرّ والعلن، فالمتّقي يحمل في قلبه خوفاً من اللّٰه ورجاءً في رحمته، فلا يجترئ على معصية ولا يتكاسل عن طاعة، والتقوى جمال

ARAB-PSF.COM

الروح في الدنيا، ونور القبر في الظلمة، فهي ما يحوّله من ضيق إلى سعة، ومن وحشة إلى أنس، وهي سبيل النجاة الحقيقيّة والفوز العظيم...

ورسالته الرابعة، أحسنوا إلى الناس، فمن نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفّس اللّٰه عنه كربة من كرب يوم القيامة، فالإحسان إلى الناس استثمار في الآخرة، ودواء لأهوال القبر، فكلّ معروف قدّمته، وكلّ ابتسامة رسمتها على وجه حزين، وكلّ دمعة مسحتها من عين باكية، ستجدها في قبرك نوراً وضياء، فالجار المحتاج الذي ساعدته، واليتيم الذي كفلته، والأرملة التي أطعمتها، والمريض الذي زرته، كلّهم سيشهدون لك أمام الملكين، وأعمالك الطّيبة ستقف بجانبك في أحلك اللحظات، وستكون أنيسك في وحشة القبر...

ورسالته الخامسة، استغفروا اللّٰه كثيراً، فالاستغفار مفتاح الرحمة، وسكينة القلوب، ونور القبور، ومن لزمه جعل اللّٰه له من كلّ همّ فرجاً، ومن كلّ ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب، وفي القبر، يحتاج الإنسان إلى رحمة اللّٰه أكثر من أيّ وقت مضى، والاستغفار هو الطّريق إلى هذه الرّحمة...

فكلّ "أستغفر اللّٰه" تقولها في الدنيا، تصبح نوراً في قبرك. وكلّ توبة نصوح تتوبها، تمحو خطايا وتزيل أوزاراً، فاجعل لسانك رطباً بذكر اللّٰه واستغفاره، فالذّاكرون لهم شأن عظيم عند اللّٰه.

وختاماً فهنا وداع وتذكير،

بأنّ هناك قبراً ينتظرك في مكان ما، ولا تعرف متى ستلاقيه، ولا تدري كيف ستكون حالك فيه، فهل ستكون من الذين يقول لهم القبر: "مرحباً وأهلاً"؟ أم من الذين يصرخ في وجوههم: "لا أهلاً ولا مرحباً"؟

فلأيّهما أنت جاهز؟؟؟؟

الخيار بيدك الآن، والفرصة أمامك، فلا تؤجّل التوبة فقد تأتيك المنيّة بغتة..

فكم من غافل ساهٍ في الحياة الدنيا عن حقيقة الموت، متناسٍ للتوبة،وقبره يُبنى وهو به غير مدرك، وحاله آنذاك يقول:

قبورنا تبنى ونحن ما تبنا يا ليتنا تبنا من قبل أنْ تبنى

فلا تتكاسل عن العبادة فالعمر محدود....ولا تبخل على الفقراء فالمال ليس ملكك الأبدي...فالقبور تتكلم، والأموات يشهدون، واللّٰه يراقب...

فهلاّ تذكرت يوماً أنتَ مُدْرِكُهْ يَوماً ستُخرِجُ فيه كلّ أنفاسِ

يوم الرَّحِيلِ عَنِ الدُّنْيَا وزينَتِهَا يوم الوداعِ شَدِيدَ البَطشِ وَالْبَاسِ

ويوم وَضْعِكَ في القبر المخيف وقد ردّ التراب بأيديهم وبالفأس

فاجعل من هذا التذكير دافعاً لحياة أفضل، ومحفّزاً لعمل أصلح، ودافعاً لقلب أطهر...

فإذا أتاك الموت وأنت على هذا الحال، فستجد في قبرك جنّة عرضها السموات والأرض، أُعدّت للمتّقين..

اللهم اجعل قبورنا روضة من رياض الجنة، ولا تجعلها حفرة من حفر النار...

اللهم آمين...